المحاضرة الرابعة : أثرُ الفرق الكلامية الإسلامية في تطوُّر النَّقد

نشأ علم الكلام في البيئة الإسلامية بوصفه علمًا يُدافع عن العقيدة، ويردّ على الشبهات، ويؤسس لبنية إيمانية عقلية منضبطة، لكنه لم يقتصر على ذلك؛ بل أصبح منبعًا خصبًا للتفكير النقدي، وأداة لتطوير آليات التحليل العقلي والمناظرة العقلية داخل الحضارة الإسلامية، وقد أسهم الدرس الكلامي في ترسيخ ثقافة الجدل المنطقي، وتحليل المفاهيم، والتمييز بين الدليل والظن، والتفريق بين المعقول والمستبعد، ما جعله أحد أبرز أدوات إنتاج الفكر النقدي في الإسلام.

ماهية علم الكلام وصلته بالعقل :

علم الكلام هو العلم الذي يبحث في العقائد الإسلامية بالأدلة العقلية والنقلية، ويُسمّى كذلك بـ"علم أصول الدين"، وقد نشأ كرد فعل على التحديات العقدية والفكرية التي واجهها المسلمون في القرون الأولى، مثل:

- الخلاف حول مرتكب الكبيرة.
- صفات الله وأفعاله.
- خلق القرآن.
- حرية الإرادة.
- التوفيق بين النصوص الشرعية والعقل.

أبرز أهدافه :

- إثبات العقائد الإسلامية بالعقل والبرهان.
- دفع الشبهات والرد على الخصوم (من الملل والنحل الأخرى).
- تحقيق التماسك بين النقل والعقل.

كيف ساهم علم الكلام في تطوير الفكر النقدي؟

- تعويد العقل المسلم على السؤال والمناقشة.
- الكُتّاب والمتكلمون لم يكتفوا بالتسليم، بل شجّعوا على طرح الأسئلة العقدية العميقة، مثل:
  - هل الصفات الإلهية زائدة عن الذات أم هي عينها؟
  - ما الفرق بين الإرادة الكونية والشرعية؟
  - هل الإنسان مخيَّر أم مسيَّر؟

استخدام قواعد المنطق والبرهان :

- اعتمد علم الكلام على أدوات التفكير المنطقي: مثل القياس، التلازم، التناقض، التفريق بين الضروري والنظري.
- ساعد ذلك على صقل المهارات العقلية لدى المتعلّمين، وتمهيد طريق العقل الإسلامي نحو الفلسفة والعلوم الأخرى.

حقوق تأليف هذه المحاضرات حصرية للأستاذ الدكتور طارق زنباي